

العنف الجنسي: سلاح الحرب

كيثي توماس

يترك العنف الجنسي آثارا جسدية ونفسية واجتماعية طويلة الأمد

الانطباع القائل بأن العالم ليس آمنا بالنسبة للمرأة، وحيث تستطيع المجموعات المتحاربة سواء كانت عرقية أم إقليمية على تفادي الاتصال بينها في مراحل ما بعد الصراع، إلا أن المرأة لا تستطيع تفادي جميع الذكور حولها. وبالرغم من أن الأنتى قادرة على التسليم فكريا بحقيقة أن ليس جميع الذكور سيحاولون الإضرار بها، إلا أنها مجبرة على تحمل الخوف والذكريات المخيفة كلما تفاعلت مع من حولها من الذكور، حيث يمكن لهذه العوامل أن تؤثر على قدرتها في التعامل مع البيئة المحيطة بها.

ومن الجدير ذكره أن الدعم الاجتماعي شبه معدوم تجاه ضحايا العنف الجنسي؛ ففي حين يتمتع الشخص الذي يحمل إصابات واضحة مثل أن تكون أحد أطرافه مبتورة بدرجة من الامتيازات والعطف، إلا أن الأنتى التي تعرضت لإصابة خطيرة جراء العنف الجنسي لن تتمتع بالقدر نفسه من العطف والتنازل لأن الإصابة عادة ما تكون مخفية، خصوصا وأن الخجل الذي تشعر به الضحايا يجعل من هذه الإصابات أمرا سريا يتم إخفائه حتى عن النساء الأخريات.

يؤثر كل من نبذ المرأة وإهمالها على قدرتها في المشاركة في الحياة الاجتماعية وتربية الأطفال حيث أنها تحتاج للشعور بأن هناك مستقبلا آمنا ينتظرها، إضافة إلى أن قدرتها على تلبية احتياجات أطفالها اليومية الجسدية والنفسية ستأثر بشكل كبير إثر تعرضها للعنف الجنسي. ويؤثر غياب هذه القدرة بدوره على نمو الطفل قدرته على التعايش مع البيئة المحيطة به وصحة العاطفية، إضافة إلى أن الصدمة لدى الأم تؤثر على نمو الدماغ لدى الرضيع في السنة الأولى من حياته، الأمر الذي يولد تكاليف صحية وتعليمية على المجتمع. ويعيش أطفال

إلى احتمال إصابتهم بفيروس نقص المناعة البشرية (HIV) والأمراض المنقولة عن طريق الاتصال الجنسي. أما إذا كانت الخدمات الطبية متاحة، فعادة ما يطلب من النساء والفتيات شرح كيفية تعرضهن للعنف الجنسي وأعراض الإصابة، الأمر الذي يزيد من الألم النفسي لديهن.

يترك العنف الجنسي آثارا واضحة على الصحة العقلية مقارنة بأنواع العنف الأخرى، فعندما يمارس العنف شخص آخر يمتلك قوة أكبر من الضحية، سواء كانت بالعدد أو بسبب استخدام السلاح، فإن الأذى الناتج عن الإصابة يصاحبه صدمة ناجمة عن الشعور بالعجز، أضف إلى ذلك أنه في حالة العنف الجنسي، فإن صميم الضحية يتعرض للانتهاك وليس الجسد وحسب. هذا وعادة ما تظهر على النساء اللواتي كن تعرضن للاغتصاب أعراض القلق والتوتر الشديد والألم، مما يجعل القيام بأعمال عادية والتفاعل مع الآخرين أمرا صعبا. وفي نفس السياق، فإن النساء التي تعرضن للعنف الجنسي يعانين من درجات توتر مرتفعة جدا، واحتمال مروهن بفترة مرض عقلي، إضافة إلى أن خطر انتحارهن يزيد بشكل حاد.

تقوم معظم المجتمعات بإلقاء اللوم على النسوة اللواتي يتعرضن للعنف الجنسي، ونبذهن ومعاقبتهن، حيث أن هناك احتمال كبيرا في هذه المجتمعات أن تقوم عائلة المرأة أو الفتاة بالتبرؤ منها إضافة إلى أن المجتمع المحيط بها يقوم بإجبارها على المغادرة. حيث تزيد عدم المبالاة التي يمارسها كل من العائلة والمجتمع المحلي والمجتمع الدولي ككل من اليأس والاكتئاب الذي تعانیه الضحية. فالإنثا اللاتي تعرضن للعنف الجنسي، ينزلن تحت

عادة ما تكون الإصابات الناجمة عن القتال ظاهرة، حيث يتم تفضيلها ومعالجتها أولا حتى تشفى في نهاية المطاف، بينما من الممكن لأحداث العنف الجنسي أن تترك أضرارا جسدية بالغة الخطورة إضافة إلى الجروح الداخلية، وعلى الرغم من خطورة هذا النوع من الإصابات الجنسية إلا أن احتمال علاجها ضئيل جدا بالمقارنة مع الإصابات التقليدية، حيث أن كتيبات التدخل في أوضاع الطوارئ نادرا ما تذكر عمليات ترميم المهبل كجزء من عمليات التدخل الجراحية على الرغم من أنه تم الاعتراف بأن العنف الجنسي يستخدم بشكل دوري في الحروب. فلو أخذنا الكتيب الخاص بمنظمة أطباء بلا حدود (١٩٩٧) للاستجابة الطارئة على سبيل المثال، لتمت ملاحظة أن عدد الصفحات التي تتعامل مع العنف الجنسي لا يتعدى الصفتين من أصل ٣٨١ صفحة.

ولا تشكل البالغات من النساء الفئة الوحيدة التي تتعرض لهذا النوع من العنف، حيث أن الأطفال أيضا يتعرضون للعنف الجنسي مما يخلف إصابات داخلية مروعة. أما إذا تم النظر إلى الدول التي حدثت بها عمليات بتر للأعضاء الجنسية الخاصة بالإناث، ستم ملاحظة أن العنف الجنسي ضد هذه الفئة من الإناث يمكن أن يسبب تمزقا شاملا للأجزاء الخارجية والداخلية للعضو للمهبل.

عادة ما تترك النساء والفتيات اللاتي تعرضن للعنف الجنسي المرتبط بالصراعات دون عناية طبية أو جراحية بالرغم من التمزق الداخلي الذي نجم عن هذه الأعمال، بينما تعاني العديداً منهن من تمزق النوايسر المثاني المهبلية إضافة إلى أضرار دائمة في الرحم والمهبل إضافة



مريم، ١٨ عاماً، مع طفلتها التوأم في غرب دارفور. لقد تعرضت مريم للاغتصاب من قبل قوات الجنجويد عندما كان عمرها ١٦ عاماً و حملت نتيجة الاغتصاب وولدت طفلتها والذي يطلق عليهم "أطفال الجنجويد".

مريم، ١٨ عاماً، مع طفلتها التوأم في غرب دارفور.

الأولويات العشر للاستجابة لحالات الطوارئ، إضافة إلى الغذاء والتغذية والحماية ضد الأمراض السارية.

■ جمع المعلومات المتعلقة بحالات العنف الجنسي والإصابات الناجمة عنه ودمجها في بروتوكولات موحدة لجمع المعلومات تتم الاستفادة منها على المناطق الحدودية والمخيمات.

■ يجب على المجتمع الدولي التأكيد على وضع عقوبات عاجلة ومناسبة للحد من وقوع جرائم العنف الجنسي التي يتم ارتكابها أثناء الصراعات.

كيتي توماس طبيبة نفسانية متخصصة بالشفاء من آثار الصدمات النفسية، وهي تعمل في مركز الصحة العالمي، جامعة كيرتين للتكنولوجيا، بيرث، أستراليا.

www.cih.curtin.edu.au

بريد إلكتروني: Katie.thomas@curtin.edu.au

يسيطر العنصر الذكوري عليها لا تقلل بالضرورة من أهمية وقيمة المرأة، إلا أن هذه الحكومات تجهل مدى وعمق آثار العنف الجنسي على حياة النساء وعائلاتهم وحياتهم الاجتماعية.

الأولويات

يجب على الحكومات المحلية ومجتمع الشؤون الإنسانية الدولي العمل للحيلولة دون وقوع أحداث العنف الجنسي، وتوفير الاستجابة الملائمة في حال حدوثه، لذا، يجب على الأطراف ذات العلاقة اتباع التوصيات التالية وتطبيقها في مواقف الصراعات:

■ يجب أن يتم إدراك أوضاع النساء والأطفال الحساسة في مراحل الطوارئ، ويجب إدراج الحاجة لإخلائهم وحمايتهم ضمن الأولويات الوطنية والدولية.

■ يجب اعتبار الإصابات البدنية والآثار النفسية الناجمة عن العنف الجنسي أولوية في كل من مرحلة الطوارئ والمراحل التي تلي الصراعات. ويجب اعتبار العلاج أحد

الأمهات اللواتي كن تعرضن للاغتصاب تحت خطر التعرض للأمراض العقلية والإهمال والاضطهاد.

يمكن أن يؤدي الاستخدام التكتيكي والمنظم للعنف الجنسي كأداة حرب -كما حدث في رواندا والسودان وسيراليون وكوسوفو وغيرها من الصراعات- إلى دمار اجتماعي، فبينما تتم ممارسة معظم أنواع العنف من أجل قتل العدو، تتم ممارسة العنف الجنسي من أجل التسبب بالإصابات البدنية والإذلال بالإضافة إلى تدمير مجتمع العدو. ويمكن أن تدوم آثار هذا النوع من الدمار الاجتماعي والثقافي الناجم جراء العنف الجنسي لأجيال عدة. فالضرر النفسي والمعاناة المستمرة لا يؤثران على الضحية وحسب، بل على أطفالها وعائلتها بنطاقها المحدود المباشر والشامل، وعلى الحياة الاجتماعية ككل.

تنظر الكثير من الحكومات والمليشيات إلى المرأة على أنها عنصر ثانوي في المجتمع مما يحول دون توفير هذه الأطراف للعناية الطبية اللازمة لضحايا العنف الجنسي، ويجب على المجتمع الدولي أن لا يهمل هذا النوع من الإصابات البدنية الناجمة عن العنف الجنسي. وبالرغم من أن الحكومات الذي